خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

٩ من ذي الحجة ١٤٣٥ هـ / ٣ من تشرين الأول ٢٠١٤ م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارضَ اللهم عن الصحابة ومن اهتدى بهديهم واستنّ بسنّتهم إلى يوم الدين.

من اعتمد على علمه ضلّ، ومن اعتمد على عقله اختلّ، ومن اعتمد على سلطانه ذلّ، ومن اعتمد على ماله قلّ، ومن اعتمد على الناس ملّ، ومن اعتمد على الله، فلا ضلَّ ولا قلَّ ولا ملَّ ولا ذلَّ ولا اختلَّ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عزَّ وجل، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين.

يقول المولى ﷻ في محكم التنزيل: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ * ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٨-١٩٩].

أيها الإخوة: لقد كان أعداء الله من عبدة الأصنام ومن جحدة أهل الكتاب يَتنمرون حول الإسلام الناهض، كانوا يُبيتون له نيات الغدر، كانوا قد سالموه على غش، عقدوا معه معاهدات على دخن، والإسلام دين كريم، دين صريح، يكره النفاق والغش، ويكره المداهنة والمراءاة، ولذلك يقول الله لنبيه ﷺ: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩] لا مداهنة في دين الله، ولذلك رُؤي في السنة التاسعة من الهجرة أن يُمزق الستار على القلوب الغشاشة، وأن يُقال لمن يريد الشر في الإسلام: ويحكم لا تحاولوا الاعتداء علينا فلن نتركه، وقد تركناكم اثنتين وعشرين سنة، ونحن نعطيكم حق الحياة، ونرجو إلى جواركم حق الحياة، ولكنكم تريدون الحياة لأنفسكم

فقط، ولجاهليتكم وشرككم، الآن أنتم بين أمرين، من أراد أن يَبقى على شركه فليترك هذه البلاد إلى حيث ألقت، ومن بقي وفياً للعهد قبلناه، وفي السنة التاسعة نزل قوله سبحانه: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ * وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ١-٣]. قَرأها علي بن أبي طالب ﷺ على الناس، وكان قد أُرسل في السورة في حجة أميرها أبي بكر الصديق ﷺ، أُرسل بصدر سورة التوبة ليقرأها على الناس، وانطلق الناس، وانطلق المنادون وسط المضارب ومجامع الحجيج وملتقيات الناس، يُبلغون عن النبي ﷺ قوله: (ألا لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان) وبعد نزول هذه الآيات انتهى هذا الضلال، واستقرت كلمة التوحيد في الأرض، وفي السنة العاشرة من الهجرة أعلن رسول الله ﷺ نيته بالحج، وأشعر الناس بذلك، حتى يَصحبه من شاء، فترك المدينة أواخر ذي القعدة، بعد أن أَمَّر عليها في غيابه أبا دجانة، والحج هذه المرة جاء مغايراً لما ألفته العرب في أيام جاهليتها، انتهت العهود المعطاة للمشركين، وحُظر عليهم أن يَدخلوا المسجد الحرام، فأصبح أهل الموسم قاطبة من الموحدين، وأقبلت وفود الرحمن من كل صوت تيمم وجهها شطر البيت العتيق، وهي تعلم أن رسول الله ﷺ هو في هذا العام أمير حجهم ومعلمهم مناسكهم، لقد ظل ثلاثاً وعشرين سنة يصل الأرض بالسماء، ويتلو على القاصي والداني آي الكتاب، الذي نزل به الروح الأمين على قلبه، ويَغسل أدران الجاهلية التي التاث بها كل شيء، ويربي من هؤلاء العرب الجيل الذين يَفقه الحقائق ويُفقه العالم فيها، وها هو ذا يقود الحجيج في أول موسم يخلص فيه من الشرك، ويتمحض فيه لله الواحد القهار، وها هو ذا

على ناقته العضباء، يَستنصب الجماهير المائجة ليؤكد المعاني التي بعث بها والتي عرفهم عليها، ويُخلي ذمته من عهدة البلاغ والاستبيان التي نيطت في عنقه.

لقد أُجيبت دعوة إبراهيم عليه السلام حين هَتف وهو يُنادي ويَدعو ربه ﷻ: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩] إن العزيز الحكيم تَجلى باسميه الجليلين على هذه الديار، فوهب العزة والحكمة لمحمد بن عبد الله ﷺ فعالج بها الآثار الجاثمة على صدر الأرض، فما استعصى على الأناة والحلم استكان للتأديب والحكم، وبهذا المنهج الجامع بين العدل والرحمة أخذت رقعة الباطل تنكمش رويداً رويداً، حتى اختفت الجاهلية وثبت الإسلام، ثم أفاق العرب بعدما لان قيادهم إلى صوت الحق الأخير في حجة الوداع، وفي يوم عرفة، وفي هذه الحجة العظيمة، نزل قول الله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] عندما سمعها عمر بن الخطاب رضي الله عنه بَكى، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان. وكأنه استشعر قرب وفاة النبي ﷺ، والحق أن مشاعر التوديع للحياة والأحياء كانت تنضح بها بعض العبارات التي ترد على لسان الرسول الأكرم ﷺ:

منها قوله لمعاذ بن جبل: (يا معاذ، إنك عسى ألا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري) فبكى معاذ رضي الله عنه لفراق رسول الله ﷺ، فكأن هاتفاً انبعث من قلب رسول الله ﷺ يشعره أن مقامه في هذه الدنيا يُوشك على النهاية، ثم التفت النبي ﷺ بوجهه نحو المدينة وقال: (إن أولى الناس بي المتقون، من كانوا وحيث كانوا) فإن معاذاً أقام باليمن حتى كانت حجة الوداع، ثم كانت وفاة النبي ﷺ بعد الحج الكبر بأحد وثمانين يوماً، ومعاذ باليمن.

ومن العبارات أيضاً قوله ﷺ في أثناء تعليمه الوفود المحتشدة حوله عند جمرة العقبة: (خُذوا عني مناسككم، فلعلي لا أحج بعد عامي هذا في موقفي هذا).

وفي موقف عرفات نظر رسول الله ﷺ إلى الألوف المؤلفة، وهي تُلبي وتهرع إلى طاعة الله، فانتهز الرسول الكريم ﷺ هذا التجمع ليقول كلمات تُبدد آخر ما أَبقت الجاهلية من مُخلفات في النفوس، وتُؤكد ما يحرص عليه الإسلام من الأخلاق والآداب وعلائق الأحكام، فشتان بين النفوس الكبيرة والنفوس الحقيرة، فإن النفوس الكبيرة تستغل الجموع بالنصح والإرشاد، والنفوس الحقيرة تستغلها بالفتنة والإفساد، وهذا ما فعله فرعون عندما جاء بسحرته ليكذب على الناس، وقد وصف القرآن هذا الموقف: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى * فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾ [طه:٥٨-٥٩] واليوم في هذا العصر شيدت أسماء لامعة وكبراء لهم وزن وقادة ذوي مناصب، لكي يمكروا بأمتنا ويدسوا للأجيال السم في الدسم، وينحرفون بهم عن الصراط المستقيم، ففي يوم عرفة، وفي حجة الوداع، كان الرسول ﷺ يريد بعد بلاء طويل في إبلاغ الرسالة أن يُفرغ في آذان الناس وقُلوبهم آخر ما لديه من نصح، كان يَشعر أن هذا الركب سَينطلق في بيداء الحياة وحده، فهو يَصرخ به كما يَصرخ الوالد بابنه الذي انطلق القطار به يوصيه بالرشد ويُزوده بالنصح، ويُذكره بما ينفعه، وراح الحبيب الأعظم ﷺ يُخاطب الأجيال القادمة بقوله: (أيها الناس -وأنصت الحجر والشجر والبشر- أيها الناس: اسمعوا قولي -وهذه الكلمة- أيها الناس، تخص المسلمين وغير المسلمين، هي كلمة وخطاب عام- اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا. أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى. أيها الناس: إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا.

يا سادة: ماذا يَطلب الإنسان في هذه الدنيا إلا أن يعيش آمناً على دمه وماله وعرضه، منذ ثلاثين سنة تقريباً كَثر صيد الطيور السائحة في لبنان، فإن الصيادين

أَسرفوا باقتناصها حتى أوشكت على الفناء، والغريب في ذلك أن أوربا وأمريكا انتفضت إزاء ذلك، وكتبت آنذاك مجلة ألمانية مَقال طويلاً عن الجرائم التي تقترف ضد طيور لبنان، واستصرخت العالم كي يَضع حداً لها بعدما وصلت إلى حدود لا معقولة، وفي تلك الليلة استنكر رئيس الرابطة الفلندية للمحافظة على البيئة هذه المذابح، وقال: إن الوقوف في وجهها مسؤولية العالم كله. وفي لندن وجه أصحاب الاختصاص نداءً إلى الحكومة اللبنانية كي تَبعث مندوباً لها لحضور مؤتمر يُناقش فيه هذه القضية الحساسة ويواجه خطورتها، والأغرب من ذلك أن الممثلة الفرنسية "برجيبت باردو" صُعقت وأصابها الانهيار العصبي والنفسي، وبَقيت عدة أيام بلا طعام وألغت كل لقاءاتها التربوية مع قططها وكلابها، بسبب الصدمة التي أصابتها عندما بلغتها أبناء المذبحة التي وَقعت لطيور لبنان. والذي يَجعلك تتسائل: كم قتل المستعمرون البيض في جنوب أفريقيا من الزنوج؟ قتلوا الآلاف. ومنذ أيام قليلة نشرت الصحف العالمية والأمريكية أن شرطياً أمريكياً قُتل بالرصاص بولاية "نيجوري" التي شهدت احتجاجاً أو شهدت احتجاجات على مقتل شاب أسود، لأنهم يميزون بين الأبيض والأسود أمريكا التي تدعي الديمقراطية إلى هذه الساعة تعاني من العنصرية، أمريكا –يا سوريون التي تريد أن تصدر إليكم الحرية والديمقراطية– إلى هذه الساعة تُعاني من العنصرية التي تَشيع بكثرة فاحشة في بلادهم وبين أوساطهم، فهل في الإسلام عنصرية؟ إذن الحرية هنا، والحرية من هنا، والحرية الحقة هي في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ، واليهود المحتلون في أرض فلسطين يَمحون آثار العرب، ويَشنون عليهم حرب إبادة دون نكير، بل إن الدول الكبرى ترى ذلك حقاً، وترى المقاومة الفلسطينية إرهاباً، يَبدو أن حُقوق الطير في البقاء أرجح من حقوق البشر، تُرى ما الذي يَحتاج إلى التصحيح، العقل البشري أم الضمير البشري؟

يا سادة: إن النبي ﷺ وقف في موقف عرفات في مثل هذا اليوم المبارك، ووضع بنوده، ما أحوج الأمة الإسلامية اليوم أن تتمسك بها وأن تُحافظ عليها، لا سيما البند الذي يُؤكد فيه على حرمة وصيانة الدماء البريئة، كم وكم يُؤلمنا –يا سادة– عندما نرى أناساً يَقتلون باسم الإسلام، وعندما نرى تنظيمات إرهابية كالنصرة وداعش وفاحش، وغيرها من الأسماء المزيفة التي نَضعها تحت أقدامنا، تسيء إلى الإسلام، وتقتل باسم الإسلام، وتَقتل وهي تقول: "الله أكبر" الله أكبر عليكم يا كذبة، الله أكبر على إجرامكم يا كذبة، والله بكت قلوبنا قبل أن تبكي العيون، يوم أمس وقبل يوم أمس، عندما قتلت النصرة وداعش، عندما قتل الإرهابيون أبنائنا في مدرسة عكرمة، مَذبحة مروعة حدثت في مدرسة عكرمة، يُفجر سيارته على باب المدرسة، ويذعر الأطفال إلى الباب الآخر، ويأتي بالحزام الناسف من الجهة المقابلة، ويَرتقي ما يَزيد عن خمسين شهيداً إلى ربهم ﷻ، قَتلوهم باسم الإسلام، ما هو ذنب هؤلاء الأطفال؟ اسمعوا آل سعود، يا أردوغان، أيها القطريون، أيها العملاء والخونة، اسمعوا منا ماذا نريد أن نقول لكم: أنتم منذ الحرب الكونية علينا حاربتمونا بالعلم، أغلقتم المدارس وضربتم مخافر الشرطة، لكي لا يَبقى هناك قَانون يُحاسبكم على كفركم وإجرامكم، وها هو اليوم على اقتراب الحرب الكونية على سوريا، تُعيدون الكرة من جديد لتقتلوا أبناءنا باسم الحرية وباسم الديمقراطية، وعلى أننا كفار، هل تُدرك براءة الطفولة ما يَجري الآن في سوريا؟ هذا الطفل الذي يَذهب ببراءته مودعاً أمه، يَذهب ببراءته إلى المدرسة ليتعلم القراءة والكتابة، ليتعلم حب الوطن، ليتعلم حب المعلم، ليعرف قيمة الحياة، وما هي غايته في هذه الحياة، قتلتموه، والأغرب من ذلك أنك إذا فتحت على قنواتهم، قنوات الكذب، قنوات الدجل، قنوات التضليل والفتنة، يقولون: إن الذي قتلهم هو النظام. اسمعوا يا كذبة، نُجيبكم كلاماً، وبكلمة واحدة: من يقول أن النظام قتلهم، من يقول أن النظام أجرم بهم، فهذا الكلام لا يَروج عند أصحاب العقول وأصحاب الضمائر الحية، إنما يُروج في سوق

البغال والحمير، وعلينا أن نتيقظ أيها السوريون، إن الحرب لن تستثني أحداً منا، كُلنا مُستهدفون ما دُمنا نَقول: نعم للأمن والاستقرار، نعم للقضية الفلسطينية، كلنا مُستهدفون ما دُمنا على هذا المبدأ وهذه المواقف.

يا سوريون، أرجوكم يا سوريون، أرجوكم يا سوريون، أن نفقه ما يُحاك ويحيط بنا من مؤامرات، أرجوكم أن نتحد في صف واحد ضد داعش وفاحش والنصرة وهؤلاء المجرمين، ما علاقة الشيشاني حتى يأتي من الشيشان، ومن أستراليا والليبي والأردني، وغيرهم من المرتزقة، ما دوركم في هذا البلد؟ يَأتون حتى ينتهكوا أعراضنا، ويَقطعون رؤوسنا، ويسلبوننا نعمة أمننا واستقرارنا، وأنت وأنا نقول بعد كل هذا وذاك: الأمر لا يعنينا، ونَتخلف عن خدمة الوطن، ونهرب من خدمة العلم، مَن يدافع عن الوطن –يا سادة– إذا أنت هربت وأنا هربت، مَن يصون هذه الأرض؟ من يحمي هذا الدين من الأشرار؟ مَن يُبين للعالم بأسره أن الإسلام دين رحمة وسلام، وليس دين كفر وإجرام؟ داعش، النصرة، فاحش، أبو بكر البغدادي، هذه الأسماء المزورة، نقول لكم: إننا لا نخشى إلا الله، إننا لا نركع إلا لله، إننا لن نستجيب إلى قتلكم، لن نستجيب إلى غدركم وإجرامكم، وسنبقى بقوة الله ﷻ ما دامت أرواحنا في أجسادنا ترتفع بالمعنويات، لا نركع ولا نخشى إلا الله، لأننا نحن أصحاب الحق، ونحن أصحاب القضية، ونحن من سيُدافع عن هذا الوطن، مهما كلفنا من ثمن، ورحم الله خالد بن الوليد ﷺ عندما قال: وها أنا ذا أموت على فراشي كما يموت البعير، لا نامت أعين الجبناء، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربّ العالمين، الحمد لله حقّ حمده، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله وصفيّه وخليله، اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عبادَ الله، اتّقوا الله واعملوا أنّكم ملاقوه، وأنّ الله غير غافل عنكم ولا ساه.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، اللهم ارحمنا فإنّك بنا رحيم، ولا تُعذّبنا فإنك علينا قدير، اللهم إنا نسألك في هذا اليوم المبارك أن تُعيد الأمن والأمان إلى ربوع هذا الوطن الحبيب، اللهم إنا نَسألك أن تنصر الجيش العربي السوري، اللهم إنا نسألك أن تُثبت الأرض تحت أقدامهم، وأن تسدد أهدافهم ورميهم يا رب العالمين، وأن تكون لهم معيناً وناصراً، ربنا إننا سمعنا منادياً يُنادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك، ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد، اللهم وفق السيد الرئيس بشار الأسد إلى ما فيه خير البلاد والعباد، وخذ بيده إلى ما تحبه وترضاه، واجعله بشارة خير ونصر للأمة العربية والإسلامية، واكلأه بعينك التي لا تنام، برحمتك يا أرحم الراحمين، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، والحمد لله رب العالمين.

مديرية أوقاف دمشق